A.U.B. LIBRARY

... compliments
... Anthropological Committee
(Am. Soc.)

391.09
M468a

الاذياء في الاجيال الوسطى

للدكتور ل. ا. مايو

خطبة القاها امام الجمعية الانثروبولوجية في الجامعة الاميركية في بيروت
في ٧ ايار سنة ١٩٣١

وقد نشرت في عدد تموز سنة ١٩٣٢ من مجلة الكلية
التي تصدرها الجامعة الاميركية في بيروت

49203

(Gift, Dr. Reuben, Oct. Sept. 1933

الازياء في الاجيال الوسطى

للدكتور ل. ا. مايار

خطبة القاها في الجامعة يوم ٧ ايار سنة ١٩٣١ تخللها صور الفانوس السحري

اعتذر اليكم ايها السادة اعضاء الجمعية الانثروبولوجية والاثنولوجية في هذه الجامعة لاني اخاطبكم في موضوع اراه لا يوافق ان يزجّ بين خطبكم التي تطابق غاية الجمعية . وعذري الوحيد هو ان بعض الازياء التي ساعرضها امامكم بالفانوس السحري الان لا تزال شائعة بين فلاحي فلسطين الحاليين مع تغير طفيف طرأ عليها .

واريد في النصف الاول من الساعة المعينة لي للكلام ان احدثكم عن الازياء العربية او الاسلامية التي تحدّثنا بغير لسان عن الفكرة الاسلامية في سورية وفلسطين ومصر في العصر الذي تلا الحروب الصليبية وتقدم الفتح العثماني . وساقتصر على ازياء الرجال فقط تاركاً الكلام عن السلاح الذي كانوا يتقلدونهُ . والازياء في حياة الامم الشرقية تمثل دوراً يختلف جداً عما تمثله في حياة الامم الاوربية . فقد كانت الازياء عند ابناء الشرق تصنع لمآرب مختلفة لم يكن بعضها ليخطر على بال اهل اوربا .

ولكن لا العرب ولا الترك في الاجيال الوسطى تغنّوا بالاشعار ولا باهوا بازيائهم كما كان يفعل كاري احد شعراء الفرس .

وكان السلاطين في تلك الاعصر يخلعون على نوابهم وغيرهم من ارباب الوظائف في الولايات العديدة خلعاً علامة الرضى عنهم كما تمنح حكومات هذه الايام الاوسمة والرتب السنية . الاّ ان تلك الخلع كانت تحسب عليهم من جملة ما كان يحقّ لهم من المرتبات المالية . وكان سلاطين ذلك الزمان يخلعون ايضاً الخلع على عمّالهم حين كانوا يرسلونهم الى الخارج للقيام ببعض الخِدَم التي كانوا ينتدبونهم اليها او حين كانوا يعينونهم لاحدى وظائف الدولة . وفي مصر كان السلطان يخلع الخلع الفاخرة على الممتازين من رجالهِ في فصل اللعب بالكرة والصولجان وفي احوال أُخرى كثيرة

وكان اهداء الثياب من الاعلى الى الادنى يعدُّ تقدمة اكرامية ومن الادنى الى الاعلى رشوة او برطيلاً . وليس فقط أنّ كل رتبة او طبقة من سكان البلاد كانت تمتاز عن سواها بنوع لباسها او بزيها المخصوص كامتياز زي التاجر مثلاً عن زي الصانع او الماهن وزي العلماني عن زي رجل الدين وزي المسلم عن زي النصراني واليهودي عن السامري بل الموظفون انفسهم كانوا يختلفون في ازيائهم بعضهم عن بعض فكان لباس ارباب السيف شيئاً ولباس ارباب الوظائف الدينية والديوانية شيئاً آخر . هذا بقطع النظر عن ازياء خصوصية كانوا يلبسونها في احوال معينة كبيعة السلطان او الخليفة او الاحتفال بمنح رتبة امير او في المواكب العظيمة كعرض الجند وما شاكل ذلك فعليه كانت الملابس في الشرق في اثناء الاجيال الوسطى علامة للسلطة او الولاء والصنعة او السناء والمهنة او الديانة

وبما ان ذلك كذلك فقد كنا نتوقع ان نجد كتابات مستفيضة بهذا الصدد . ولكننا لسوء الحظ لم نجد شيئاً من ذلك الا في كتابين طُبِعا حوالي منتصف من القرن الماضي . ففيهما نجد نزراً يسيراً عن الازياء في سورية وفلسطين ومصر في الاجيال الوسطى . وقد ترجم كاترمير كتاب السلوك للمقريزي المطبوع سنة ١٨٣٧ و١٨٤٢ وخصص بضع فقرات منهُ بالكتابة عن الازياء . واقتبس كعادته عدداً من فصول الكتاب ولا سيما التي يرد فيها ذكر الاصطلاحات الفنية الخصوصية

وفي سنة ١٨٤١ اعلن المعهد الملكي في هولندة موضوعاً للمباراة وهو « الازياء التي كان يلبسها العرب رجالاً ونساء في ازمان واماكن مختلفة »

وقد اشترك في هذه المباراة دوزي المستشرق الشهير الهولندي التابعية والفرنساوي الاصل . وكان اذ ذاك شاباً في الحادية والعشرين من عمره فنال الجائزة المعينة للفائز من المتبارين . وقد طبع مقاله الذي اكسبه الجائزة في مجلَّد كبير سماه « معجم اسماء الازياء عند العرب » وطبعه في امستردام سنة ١٨٤٥ . ومن ذلك الوقت الى الان لم يُطبَع شيء في هذا الموضوع . وقد جمع دوزي مواد كتابهِ المذكور من مصادر عديدة عربية واوربية . ولكن معجمهُ في الازياء ، ذلك المؤلف الكبير الذي هو اثرٌ خالد لاعلان علمهِ وادبهِ واجتهاده للملاء يقصر عن ان يفيدنا شيئاً عن وصف بعض الازياء بالدقَّة التامة مع ان هذا اول ما يتوقع ان يجده المرء في قاموس تخصص بالبحث وعن الازياء سواء كانت شرقية او اوربية قديمة او حديثة . وارجو ان لا تخطئوا فهم ما اقوله فاني بعد ان درست القضية مع صف مختار من طلبة الجامعة العبرية بالقدس مدة شهرين في الشتاء ساكون آخر انسان « يرمي دوزي بحجر » بل بالعكس فانه مهد امامنا السبيل ولذلك فاني اشعر بواجب الشكر له منا جميعنا من اجل كل ما جاء به لايضاح هذه القضية باسلوبه اللغوي المدقق . فالمخطوطات الست والموارد الادبية الباقية من الاجيال الوسطى التي اسعدنا الحظ بالاستقاء منها ولم يسعد دوزي بالعثور عليها ليست شيئاً يذكر في جنب المخطوطات والكتب المطبوعة التي كانت رهن امره واشارتهِ . فلنتقدم بكل تواضع ونتخذ وجهة البحث من حيث تركت منذ ست وثمانين سنة ونحاول بما يتيسر لنا من المواد الاثرية التي يمكن العثور عليها ان نكتشف اشكال ازياء الاجيال الوسطى في سورية وفلسطين ومصر

ومن اين يا ترى نستمدُّ معرفتنا عن ازياء المسلمين في الاجيال المتوسطة ؟

(١) من اخبار ايام العرب ومن كتب الانشاء لموظفي الحكومة . وبعض هذي

مطبوع ككتاب الروضتين لابي شامة ، والتعريف لابن فضل الله العمري ، وصبح الاعشى للقلقشندي ، والخطط للمقريزي وبدائع الزهور لابن اياس والانس الجليل لمجير الدين والتاريخ لابن طولون والبعض الاخر لا يزال يصور مخطوطات بلا طبع يتوقع همة المؤرخ ليطبعهُ ككتاب الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ، والتحفة والاعيان للصفدي ، والسلوك للمقريزي والمنهل الصافي لابن تغرى بردى . فهذه هي اهمها من وجهة نظرنا الى الموضوع . ونجد فيها كلها فصولاً متعددة تذكر فيها الازياء بوجه الاجمال كما توصف بعض قطع الملابس منفردة بذاتها مع ذكر الاشخاص الذين ادخلوا الازياء وتسجيل المناشير التي تحظر او توجب على بعض طبقات الشعب استعمال بعض الازياء او الالوان

(٢) من مخطوطات عربية مزخرفة . ويجب ان نتذكر ان عملنا محصور في مسألة بعض رسوم من الحياة الاسلامية في سورية وفلسطين ومصر قبل الفتح العثماني ويحصر عدد هذه الرسوم التي سننظر فيها في خمسة فقط وهي :

(١) صفحة عنوان مخطوطة وجدت في الاشمونين في القرن الثاني عشر على ما يترجح

(٢) صفحة عنوان ترجمة عربية لمقالة تأليف جالينوس وتاريخها النصف الاول من القرن الثالث عشر

(٣) مخطوطة الاثار الباقية تاليف البيروني وتاريخها ١٣٠٧ او ١٣٠٨ وهي الموجودة الان في مكتبة ايدنبرج

(٤) مخطوطة مقامات الحريري وتاريخها ١٣٣٤

(٥) مخطوطة (كتاب معرفة الحيل الهندسية) للجزري الموجودة الان اقسامها في اكسفورد وتاريخها ١٣٥٥

وبسبب الاصطلاحات المجمع عليها في الانشاء وتقليد فنّاني العرب في تمثيل صور الاحياء وعدة اسباب اخرى غير داخلة ضمن موضوعنا اليوم كان ينقص هذه

الصور المزخرفة ، التي زوّقها رجال لهم الخبرة التامة بكل قطعة من الملابس التي كان يرتديها اصحابها ، الاسهاب في ما يودُّ ان يجده فيها كل من يهمه امر الازياء . وفضلاً عن ذلك فان اولئك الرجال كانوا يخاطبون جمهوراً له ما لهم من المعرفة والاطلاع على الاشياء التي كانوا يمثلونها له حتى انهم بالجهد كانوا يعلمون بانهم كانوا مراراً عديدة يلمعون الى الاشياء الماعاً بدلاً من ايضاحها جلياً . وهذا الالماع لايشفي لنا غليلاً نحن الاثريين الذين ننظر الى هذه الرسوم من خلال ظلمات القرون الغابرة التي ضاعت في ثناياها التقاليد بحذافيرها حتى أصبح الالماع إلغازاً .

ولنا ثالثا اخبار السياحات في الاراضي المقدسة وسورية ومصر . ولكن هذه لا يصح الاعتماد عليها كشيء موثوق بصحتهِ ولا سيما فيما يختص بالاسماء والاوصاف لان الحجاج والسياح العاديين كانوا يجهلون احوال البلاد حتى بعد اقامتهم بها اشهراً لانهم لا يفقهون لغة البلاد التي يقيمون بها فهم تحت رحمة التراجمة كالسياح في وقتنا الحاضر . نعم ان صورهم افضل ولكن اذا اسقطنا منها ما كان منقولاً عن كتب اوربية نسخاً طبق الاصل وما صوّر منها في اوربا نفسها بيد فنّانين اعتمدوا في تصويرهم على وصف الحجاج دون ان تكون لهم هم معرفة راساً بالاشياء المصوَّرة فلا يبقى لدينا سوى شخصين فقط وهما بريدنباخ وارنولد فون هارف .

وقيمة تلك الصور حاصلة بالاكثر عن امرٍ واحد وهو هذا : بما ان اصحابها من الاجانب فهم يعظمون الفرق بين ملابسهم وملابس العرب وهذا يساعدنا على ان نرى بعين العقل ازياء الاسلاف القدماء ولكننا نقول من الجهة الاخرى انهُ ندر بينهم من أُوتي قسطاً وافراً من الحذق يساعده على ان يرسم بالضبط التام ما كان يراه بالعين .

وانفس تلك الصور هي الصور الطليانية . فهنا لا محل للريب في مهارة الصانع او جمال الصنعة . والناظر اليها هو على يقين من وجود كل ما اراد المصور ان نعرفهُ عنها . فشكلها كما اراد ان يكون وكذلك الوانها . ولكن المسالة التي تجيء في البال

في هذه الاحوال هي أترى شاهد ارلئك المصورون الطليان الحياة في الشرق شهادة عين ؟ ونحن نعلم بان العلاقات بين ايطاليا والشرق الادنى — ولا سيما بينها وبين مصر — كانت شديدة مما حدا التجار الطليان على التردد الى موانيء شرق البحر المتوسط ، وجعل البلادين تتبادلان السفارات . ولم يكن ذلك بالامر الغير المألوف . فكثيراً ما كان ارباب الامر والنهي في البندقية يتبادلون الرسائل مع عمالهم في الشرق . وكثيراً ما كان الطليان يقومون في ارض المماليك باعباء وظائف مختلفة حتى ان ليوناردو داڤينشي فكّر في ان يعرض خدمتهُ على سلطان مصر او « دوادار » سورية (وربما يكون قد عنى بهذه اللفظة النائب الكافل في الشام على مايرجح) . ومن جهة الاخرى يقال ان كتّاب ديوان الانشاء — الذين كانوا يستقون معارفهم عن جغرافية ايطاليا السياسية من بعض الكتب العربية ككتاب مسالك الابصار لابن فضل الله العمري او صبح الاعشى للقلقشندي — كانوا يفهمون الاحوال الايطالية حقّ الفهم . وقد عرفوا أنهُ حصل غير مرّة صدام بين الاسطول الايطالي والاسطول المصري .

ونعلم ان جانطيله باليني أُرسل لقضاء مهمّة في الاستانة . ولكن مَن من اولئك الفنّانين في القرن الرابع او الخامس صوّر او رسم رسوماً بسيطة في سوريا وفلسطين ومصر ؟ لا نعلم او على الاصح لا اعلم . واذا كنت فيما يأتي من الكلام قد تجاسرت ان اقدّم لديكم بعض صورهم لابداء حكمكم فيها فانما ذلك لسببين

(١) ان الازياء تطابق مطالب المؤرخين من العرب

(٢) انهُ يوجد من من يدّعي انها اصلية حقيقية . وتأييداً لهذا الادعاء استشهد بهندسة البناء او برنوك (اعني اشعرة خصوصية) . فالفنّان الذي كان في مكنتهِ ان يعرف حق المعرفة رنوك المماليك لا بدّ له من ان يكون قد شاهد بعينهِ كيف يعيش الاعرابي او على الاقل كيف يعيش بالغرب . ولا بد ان يكون ايضاً قد عرف انواع الازياء ، التي كانوا يلبسونها والاسلحة التي كانوا يتقلدونها او المواعين

وضروب الخزف التي كانوا يستعملونها، معرفة تامّة . حتى نستطيع ان نقول ان دليلنا الى هذا الدرس امين وحاذق .

والآن دعونا ندرس الازياء نفسها . ولا يخفى اني أُوثر الابتداء بالقميص وهو اللباس الملاصق للجلد ولكن لسوء الحظ لا مؤرخو العرب ولا المصورون سواء من المشارقة ام من ابناء الغرب حسبوا انهم مجبرون ان يشفوا لنا غليلاً من جهة هذا الموضوع . وكان الامراء المماليك يلبسون فوق القمصان الاقبية التترية وهي — كما يدل اسمها — البسة اجنبية الاصل . اما ما لا يعلنهُ الاسم فهو ان هذا النوع من اللباس اتصل الى مصر من بلاد الفرس (وهكذا يقال في كثير سواه من الالبسة) وقد كان يصنع من الاطلس او من نوع آخر من الحرير . وكان يؤثر في صنعهِ الحرير الملوّن ما بين ابيض واحمر وازرق على سواه ويزرَّر من قدام . وكان الكمّان قصيرين ضيّقين . وكان الامراء والجنود يرغبون في هذا الضرب من اللباس . وحين ترد لفظة افرنجي بهذه المناسبة فانهُ يعنى بها في الراجح الايطالي لان الطليان كانوا معروفين لدى المماليك اكثر من سواهم من الاوربيين . ولسنا نعلم هل كانت المشابهة للاكمام الايطالية تامّة من كل جهة ام كانت محصورة في انها ضيّقة لان السلطان قلاوون ابطل هذا الزي الفرنجي في القرن الثالث عشر وليس لدينا صور او رسوم ترينا القباء قبل ختام القرن الخامس عشر او بداية القرن السادس عشر . وكل ما نستطيع ان نرى منهُ اذن انما هو طرف صغير ظاهر من الكم . وكان الامراء المصريون يتقلدون السيف فوق القباء جاعلين الصولاق عن اليمين . وكان اصحاب المراتب العليا من الامراء والجنود يلبسون اقبية قصيرة الاكمام يرجح انها كانت عين الاكمام التي ادخلها الامير سلار نائب السلطنة في مصر في عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون والملك المظفَّر بيبرس الجاشنكير . وكان القباء الاسلامي يختلف عنها في تفصيله ويشابهها من الاوجه الاخرى . كان القباء رداء طويلاً مصنوعاً من الاطلس الاحمر ومزركشاً بالقصب وله طراز على حاشيتهِ اما لمجرَّد الزخرفة او

لكي يكتب به اسم السلطان وكان يبطن كله بفرو السمور او القاقم الابيض او السنجاب او القندس . وكان هذا النوع من الاردية فاخراً وثميناً جداً بالنظر الى غلاء الفراء في ذلك الزمان البعيد . وقد ذكر ابن بطوطة ان جلداً واحداً من جلود السمور قد بلغ ثمنه ٤٠٠ دينار وبلغ ثمن جلد القاقم الف دينار في بلاد الهند وكان تفصيل خلعة التشريف كبقية الالبسة الاخرى الا انها من قماش فاخر جداً بحيث تلبس فوق الثياب الاخرى . وفي اوقات مخصوصة يلفُّ و يستعمل كزنَّار

واما الحزام فكان من نسيج رفيع حرير اوشاش الاّ ان المنطقة «النجاد» كانت من القصب الفضي او الذهبي . وبهذه المناسبة يهم ان نلاحظ ان هذه هي القطعة الوحيدة من اللباس التي كانت تصنع من الذهب او الفضة . وبمقتضى الحديث والتفسير كان يسوغ للمسلمين ان يلبسوها وقد كانت قيمة المنطقة عظيمة نسبياً وفي اوائل عهد المماليك كانت قيمة نجاد الجندي تساوي ٤٠٠ دينار . وفي زمن قلاوون كان عظماء الامراء مجبرين على ان يلبسوا نُجُداً قيمة الواحد منها ٣٠٠ دينار . والذين كان الواحد منهم قائداً على ٤٠ فارساً وهم المعروفون بامراء الطبلخانه كانوا يلبسون نُجُداً قيمة الواحد منها ٢٠٠ دينار . والامراء الذين كانوا في ادنى درجات الامارة كرؤساء الحرس مثلاً كانت الحياصة الواحدة تشرى بـ ١٥٠ — ١٧٠ ديناراً . وفي زمن الملك الناصر محمد ابن قلاوون كانت نُجُد الامراء من الذهب المرصَّع بالحجارة الكريمة التي كانت تزيد في قيمتها زيادة عظيمة .

واما لباس الراس فكان قبعات مصنوعة من مواد قاسية كمواد الطربوش (الشربوش) ولا يلف عليها شيء . وهي مخروطية الشكل ، ومن اصل فارسي او بخاري و يرجح انها كانت تصنع اصلاً من فرو وتحشى من داخل . وكانت ملبوس الامراء بنوع خصوصي . وحينما كان السلطان يريد ان يرفع رتبة انسان الى درجة امير كان يلبسهُ شربوشاً على راسه . وكانت الكالوطة اخف من الشربوش وزناً ولكنها لا تقل عنهُ قيمة من الوجهة الرسمية . والكالوطة قبعة صفراء مخرّجة تخريجاً

عريضاً ذات كلاليب تلبس مع العمامة او بدونها . وكان السلطان خليل ابن قلاوون على ما يظن يحسب هذا اللباس المصنوع من الجوخ للرأس غير لائق بشرف الامراء ولذلك اصدر اوامره التي مآلها انه لايجوز ان يلبس الامراء على رؤوسهم من القبعات الاّ ما كان مزركشاً زركشة ثقيلة وبعد الاصلاح الذي احدثهُ السلطان خليل اصبحت الكالوطة لباس الراس الرسمي . لاننا نقرأ انهُ في السنة ٧١٠ للهجرة حين ألقي القبض على الامير كيراي كافل المملكة الشامية رمى بالشاش والكالوطة الى الارض وتعمم بتخفيفة اي لف عمامة خفيفة على راسه بدلاً منهما

النوع الثالث (الطاقية) وهي في الاصل قبعة يلبسها الشبان والبنات . وكان يلبسها في عهد المماليك الامراء والاجناد اجمالاً . كانت مسطحة الشكل متنوعة الالوان يبلغ طولها نحواً من خمسة قراريط . وفي عهد فرج تغيّر الزي واصبحت الطاقية اعلى جداً مما كانت قبلاً . فقد بلغ علوها في هذا العهد ١٨ قيراطاً وجعل اعلاها مستديراً وشكلها كقبّة . ولكي يجعلوها اشدّ قواماً مما كانت حشوها بالورق . وفي ١٤٨١ جعلوا اسفلها اضيق من اعلاها . ولم يدخل في صنعها سوى لونين الاخضر للجزء السفلي والاسود للجزء العلوي وهذا في بعض الاحوال فقط

وكانت القلنسوة احطّ جميع البسة الراس . وهي عبارة عن قبعة صغيرة تلبس تحت العمامة . وعلى الارجح ليس لها في دار الاثار العربية بالقاهرة سوى نماذج قلائل

اما لباس ارباب السيوف فكان الخفّ الذي كانوا يصنعونهُ من الجلد البلغاري المدبوغ . وقد كانت له قيمة كبيرة بين العرب كلّ مدّة الاجيال المتوسطة . وكانوا يلبسون فوق الخف ما يسمونهُ بالسقمان ويوجد نوع آخر من الاحذية كانوا يسمونهُ ترجيلاً او مركوبا وكان اثقل وزناً من الحذاء المذكور آنفاً — وكانوا يصنعونهُ من السختيان الاحمر . وينتهي براس معقوف الى الاعلى

وكانت العمامة قطعة اللباس التي يمتاز بها العلماء عن سواهم . وكان ارباب العلم

يعرفون باسم ارباب العمائم او المتعممين . ومع كرور القرون طرأ على هذه العمامة شيء من التطوُّر فاصبحت اعلى واعرض مما كانت حتى صارت اشبه ببرج صغير . وكذلك طرأ شيء من التغيُّر على لباس الراس عند سائر طبقات الشعب بحيث اصبحت هي ايضاً اكبر مما كانت . فقد رأينا قبلاً ان الشربوش كان طويلاً او عالياً نوعاً ما وتقضي علينا الحال ان نفترض ان المسيحيين واليهود ، اهل الذمة ، كبَّروا هم ايضاً عمائمهم لانهُ وجد في احد المراسيم الرسمية التي كانت تصدر من وقت الى آخر ان اليهود والنصارى كانوا يمنعون من استعمال اكثر من اثنتي عشرة ذراعاً من القماش للعمامة الواحدة لكي لا تتشابه ملابسهم بملابس المسلمين

ومن قطع اللباس المميزة لرجال الدين عن سواهم الطرحة وكانت تلف حول العمامة دون شد او تبسط على الكتفين . وفي كلا الحالين كان يجب ان تتدلى وتغطي قسماً من الظهر . وقد كان هذا من امتيازات قاضي القضاة عند الشافعية . ولكن منذ اواخر القرن الثالث عشر وما بعده انتحل هذا الامتياز غيره من القضاة واما أن ذلك كان في اوقات مخصوصة ام على الدوام فلا نعلم تماماً . فالمسألة لا تزال تحت البحث

وتوجد قطعة أخرى مشابهة للقطعة المذكورة آنفاً تعرف بالطيلسان والفرق الوحيد بينهما — اذا كان هنالك من فرق هو في الخياطة — فالطيلسان كان مثقوباً من الوسط كما ورد ذكر ذلك مرة واحدة . ولذلك ربما كان يلبس في احوال مخصوصة لا غير . وكانت الفرجية رداء علماء الدين

وهنالك نماذج جميلة منها كانت تقدَّم هدايا من لدن السلطان . وكانت مبطنة بجلد السنجاب ومخرَّجة بجلد كلب الماء (القندس) . وكان القضاة وكبار رجال العلم يلبسونها طويلة الاكمام

وكانت الفرجية تصنع من مواد شتى بحسبما يقتضيه الفصل من صوف او قطن او حرير . وكان لها ازرار وار بطة مزخرفة والمعروف من انواع الفرجية نوعان

الفرجية الفوقانية والفرجية التحتانية . فالفوقانية هي الاصل واما التحتانية فكانت احدى القطع الثلاث التي كان يرتديها ارباب الوظائف الدينية . اما القطعتان الاخريان فكانتا الجبّة والبقيار . وكان هذا من وبر الإبل . وكان الوزير الذي هو اعظم من رب القلم يلبس لباس عالم ما عدا الرداء الذي كان عبارة عن جبة مخصوصة مفتوحة حتى مركز القلب ولها عرى وازرار

ولدينا شروح ضافية للزي السلطاني . فكان السلطان من المماليك يلبس يوم تنصيبهِ ثياباً سوداء . واللون الاسود هو ما امتاز بهِ العباسيون وكان من شعار الوظيفة عمامة سوداء وجبّة سوداء التي بطراز الذهب . ولكن السلطان كان عادةً يرتدي ثياباً بيضاء . ولم يكن يظهر بثيابهِ البيض فقط بل حين كانت الحال تقضي بذلك كان يتزيا بزيٍ زهد كما حدث سنة ٨٣١ للهجرة حين منيت مصر بقحط مخيف وقدّم اهل البلاد كافّة التضرعات من اجل فيض النيل . كان السلطان حينئذٍ يلبس جبة بيضاء وعمامة صغيرة من اللون نفسه ويرخي لها عذبة تتدلى منها الى الوراء . وكان يلبس فوقها عباءة صوف بيضاء ويمتطي صهوة جواد عار مما كان عادة يزدان به في الاوقات الاخرى كالسرج المعرق بالذهب وما يجلله من الحرير النفيس

وكانت ثيابهُ عادة جامعة لالوان كثيرة وان كان في المواقف الرسمية يرتدي الثياب البيض التي كانت مزيجاً من الزي العسكري والزي الديني . وكان اهمُّ شيء فيها لباس الراس . ونعلم ان السلطان كان في بعض الاحيان يلبس شربوشاً لان بيبرس منح لقلاوون شربوشهُ مرة . ونعلم من الجهة الاخرى انهُ في عهد المماليك البحريين كانت عمامة السلطان تمتاز بعصابتين . وفي هذا الزمان كان مجرد ذكر العصابة ينقل الى الخاطر مظهر شيء متطاير في الهواء . ولذلك كانت الاعلام السلطانية ، التي تتالف من قدد قماش طويلة مثلّثة الشكل ومربوطة بالرماح . ومع كرور الزمان حذا الامراء حذو السلاطين وانتحلوها هم ايضاً وبعد ان نالت رضى

الجمهور صاروا يدعونها قروناً . وبما ان تغرى بردى حاكم القدس الاول هو الذي ادخل هذا الزي الى المدينة المقدسة ، لقب بذي القرون . وكانت عمامة السلطان اكبر حجماً من عمامة اكبر العلماء .

وفي الختام اقول إني اخشى ان اكون قد تجاوزت الحدّ في اضاعة وقتكم والتثقيل على مسامعكم حتى عيل صبركم وعراكم الضجر وربما تخطئوني في كلامي عن بعض القضايا ومحاولتي ايجاد طرق لحلها . وربما كنتم تقولون انه توجد قضية واحدة فقط وهي ان نكتشف بالضبط التام كيف كانت الازياء السورية والمصرية في القرون الوسطى ولا نروم اكثر من حلّ واحد لهذه القضية : الا وهو وجود نماذج ازياء كهذه على قدر الامكان . واني لموافقكم على هذا الامر ولكني ارجو منكم قبل ان ترفضّ هذه الجلسة ان تسمحوا لي بان استودعكم هذا الموضوع . ان الزفرة التي اصعدها ريسكه سنة ١٧٩٠ من جهة الازياء الشرقية كانت ولا تزال تعني ان موضوع هذه الازياء لا يزال محجوباً عن الابصار وراء ستائر الغموض . فانتم بما لكم من المعرفة الفائقة بالمصادر الشرقية و بتهذيب نفوسكم على النمط الغربي و بما لكم من الفرص السانحة للوقوف على نماذج حقيقية في الكنوز والذخائر العائلية يجب ان تشمروا عن سواعد الهمة والنشاط و تدرسوا موضوع الازياء القديمة فتجدوا كثيراً من الاشياء المثيرة للاهتمام وتضيفوا فصلاً مهماً الى تاريخ الاثار العربية الذي لا يزال غير مكتوب

[redacted]
مايير، اليو ارى
الازياء فى الاجيال الوسطى
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01024504

391.09
M61A